شروح ابن رشد ودوره في تفسير وتطوير فلسفة أرسطو

د. محمد حسين بشير

كلية الآداب الأصابعة. جامعة غريان

المستخلص:

تضمن هذا البحث دور ابن رشد في تفسير وتطوير فلسفة أرسطو. ويُعتبر واحدًا من أبرز الفلاسفة في التاريخ الإسلامي، حيث أثرى الفكر الفلسفي من خلال فهمه العميق للتراث اليوناني. لم يقتصر دوره على الشرح والتفسير، بل شمل النقد والتجديد الفلسفي، مما ساهم في فهم تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي. يتناول البحث منهج ابن رشد في التعامل مع التراث اليوناني، ويبرز إسهاماته الفلسفية المهمة، مما يجعله نموذجًا فريدًا في التفاعل مع الحضارات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: ابن رشد، فلسفة، التراث اليوناني، أرسطو.

المقدمة:

يُعد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (520-595هـ/1126-1198م) من أبرز الفلاسفة في تاريخ الفكر الإسلامي، وأحد أهم الشخصيات التي أثرت في مسار الفلسفة العالمية. كما اشتهر بعمق فهمه للتراث اليوناني، وخاصة فلسفة أرسطو، حتى لُقب بـ "الشارح الأكبر". ولم يقتصر دوره على مجرد الشرح والتفسير، بل تجاوز ذلك إلى النقد والتجديد الفلسفي.

إن موقف ابن رشد من الفلسفة اليونانية يساهم في فهم تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي، وكذلك في تقييم الإرث الفلسفي لابن رشد ومكانته في التاريخ الفلسفي. يعتبر واحدًا من أبرز المفكرين والفلاسفة في العالم الإسلامي، وهو معروف بتنوع اهتماماته الفكرية والفلسفية. تتضمن مؤلفاته الرئيسية مجالات متنوعة مثل الفلسفة، واللاهوت، والقانون، والطب، والسياسة. يُعد كتابه "تهافت التهافت" أحد أهم أعماله، حيث يناقش فيه مواضيع فلسفية ومتناقضات الفلاسفة المسلمين.

هدفت هذه الدراسة الي تسليط الضوء على منهج ابن رشد في التراث اليوناني وكيف استطاع الجمع بين الأمانة العلمية في نقل النصوص ثم نقدها مع تقديم إضافات وابتكارات فلسفية مهمة.

تكمن أهمية هذا البحث كونه يعرض نموذجا فريدا في التعامل مع التراث الفكري للحضارات الأخرى مع الحفاظ على الهويات الثقافية والدينية. وتسليط الضوء على دور ابن رشد في تطوير الفكر الفلسفي الإسلامي، كما أنه، يستعرض موقفه من الفلسفة اليونانية، مع بيان الرؤية الفلسفية لابن رشد فيما يتعلق بالفلسفة اليونانية، كما سنبين أهمية مساهماته وتأثيره في الفلسفة الإسلامية والعالمية بشكل عام. وسيتم تقديم الأدلة والتحليلات المناسبة ، مما سيساهم في إثراء فهمنا للتراث الفلسفي . ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج التحليلي الذي يستند إلى الفهم ثم التحليل لبلوغ الغاية المرجوة منه.

أولاً: موقف ابن رشد من فلاسفة اليونان

يعتبر ابن رشد من أوائل المفكرين الذين قدموا تفسيرًا عربيًا لفلسفة أرسطو، حيث قام بأفكار أرسطو في الفلسفة الإسلامية. اختلف ابن رشد مع أفلاطون في بعض النقاط، حيث فضل الجانب الواقعي والموضوعي في فلسفة أرسطو على مواجهة الميتافيزيقيا العالمية لفلسفة أفلاطون. كما ركز ابن رشد على التوازن بين الفلسفة والدين، وبالتالي طبق مفاهيم أرسطو في إطار القائد الإسلامي. من خلال استيعاب أفكار أرسطو وتجديدها في سياق إسلامي، وكما سعى ابن رشد إلى بناء جسور التواصل والفهم بين الثقافات والفلسفات المختلفة.

يقول في هذا الصدد الخولي : في كتابه فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية: "ولعل نضج هذا يضحد الرأي القائل إن الرشيدية مجرد ترديد ببغائي الأرسطية ذات اللاحتمية التعسة وإذا كان ديموقرطيس نجم الحتمية اللامع في الفلسفة الإغريقية فان ابن رشد نجمها لامع في العصر الوسيط "(الخولي، 2001: ص145)

لقد بين لنا ابن رشد اتجاهه ومنهجه الفلسفي وهو أن: "فعل الفلسفة هو النظر في موجودات استدلال علي وجود صانع للعالم." (العريبي، 1992: ص80)

إن موقف ابن رشد من فلاسفة اليونان يظهر منه أنه لا يحترم منهم أحدا قبل ارسطو أو بعده، ابن رشد كان من بين الفلاسفة الذين قاموا بدمج الفلسفة اليونانية مع الفكر الإسلامي. وكما قام بتفسير أفكار أفلاطون وأرسطو على نور العقيدة الإسلامية، وقد ترجمة أفكارهم وتطويرها على فهمه الخاص والإسلامي. وإن كان مذهبه لا يخلو من شائبة التأثر بآراء كثيرة، يشير إلى ذلك الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" إشارة حقيقية فيقول: "إن المتأخرين من فلاسفة الإسلام ، قد سلكوا طريقة أرسطوطاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين" (الشهرستاني، 2001: ص150)

ولقد بلغ إعجاب ابن رشد بأرسطو، وتقدير له إلى درجة كبيرة ، وقد زاد ابن رشد غلوا في ذلك حتى أنكر على الفلاسفة الذين جاءوا بعد أرسطو إلى عصره هو أيّ أثر للتجديد والزيادة حيث يقول ابن رشد: "إن مؤلف هذا الكتاب هو أرسطو بن نيكوماكوس، أعقل أهل اليونان وأكثرهم حكمة، وواضع علوم المنطق والطبيعيات

وما وراء الطبيعة، ومتممها وقد قلت إنه واضعها لأن جميع الكتب التي وضعت قبله في هذه العلوم غير جديرة بالذكر بإزاء كتبه وقلت إنه متممها لأن جميع الفلاسفة الذين عاشوا بعده منذ ذلك الزمان إلى اليوم أي مدة 1500 سنة، لم يستطيعوا زيادة شيء على وضعه وما وجدوه من أخطاء فيه فلا ريب في أن اجتماع هذا العلم في إنسان واحد أمر عجيب، يوجب تسميته ملكا إلهيا لا بشرا ولذلك كان القدماء يسمونه أرسطو الإلهي وقال في موضع آخر، "إننا نحمد الله حمدا كثيرا لأنه قدر الكمال لهذا الرجل أرسطو ووضعه في درجة لم يبلغها أحد غيره من البشر في جميع الأزمان... وفي موضوع آخر كان هذا الإنسان قاعدة من قواعد الطبيعة ومثالا للكمال الذي في إمكانه الوصول إليه" (أنطون، 1981: ص53– 54)

ويقول ابن رشد في مقدمة كتابه الطبيعيات: "مؤلف هذا الكتاب أكثر الناس عقلا وهو الذي ألف في علوم المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة وأكملها، وسبب قولي هذا أن جميع الكتب التي ألفت قبل مجيء أرسطو في هذه العلوم لا تستحق التحدث عنها"(العراقي، 1993: ص71)

ويبدو أن هذا الإعجاب لم يكن منه مجرد شعور فقط بل صادر عن عقيدة فهو يطبق هذا الإعجاب على كثير من آرائه الفلسفية، فيتأثر بأرسطو ويرى أنه لم يكن مخطئا لأنه اتبع المنهج البرهاني. واذا رجعنا الي ابن رشد في شرحه وتحليله لمعني البرهان نجده يقول:" هو قياس يقيني يفيد علم الشيء علي ما هو عليه في الوجود بالعلة التي هو بها موجود، إذا كانت تلك العلة من الأمور المعروفة لنا بالطبع. واذا كان القياس البرهاني هو الآخر من شأنه أن يفيد هذا العلم الذى هو العلم الحقيقي، فيجب أن تكون مقدمات القياس البرهاني صادقة" (ابن رشد، ص38)

وفي موضع آخر يقول ابن رشد: "فما أعجب شأن هذا الرجل وما أشد مباينة فطرته للفطرة الإنسانية ، حتى كان الذي أبرزته العناية الإلهية لنوقفنا معشر الناس على وجود الكمال الأقصى في النوع الإنساني محسوسا ومشارا إليه، بما هو إنسان" (ابن رشد، 1982: ص 213)

وإذا كـان ابن رشد ينقد رأيا من الآراء لا يتفق مع فلسفته ومع مبادئ أرسطو وفلسفته التي يؤيدها تأييداً ظاهراً فهو يقول في مقدمة تلخيصه لكتاب السماع الطبيعي: " فإن قصدنا في هذا القول أن نعمد إلى كتب أرسطو بتجريد الأقاويل

العلمية منها التي تقتضي مذهبه أعني أوثقها، ونحذف ما فيها من مذاهب غيره من القدماء إذ كانت قليلة الإقناع وغير نافعة في معرفة مذهبه وإنما اعتمدنا نقل هذا الرأي من بين آراء القدماء إذ كان قد ظهر للجميع أنه أشد إقناعا وأثبتها حجة. وكان الذي حركنا إلى هذا أن كثيرا من الناس يتعاطون الرد على مذهب أرسطو من غير أن يقفوا على حقيقة مذهبه ، فيكون ذلك سببا لخفاء الوقوف على ما فيها من حق أو ضده" (ابن رشد، 1994: ص27)

وإذا كان ابن رشد يؤيد أرسطو فإنه يؤيده فيما إذا كان الرأي صحيحا ويظهر ذلك عند تحدثه عن طول العمر وقصره فيقول في تلخيصه: " فقد قلنا في أسباب طول العمر وقصره بحسب رأي أرسطو وبحسب ما تقتضيه الأصول الطبيعية" (بدوي، 1980: ص238)

فهو يناقش ويحلل بعض الآراء الخاصة به، ومن أمثلة ذلك أن أرسطو حين تحدث عن سبب الزلزال في كتابه الآثار العلوية وقال إنه: "عرض في بعض البلاد وفي بعض الجزائر إن ربوة من تلك الجزائر لم تزل تعلو حتى تصعدت وخرج منها ريح شديدة وأخرجت معها رمادا كثيرا، وذلك أنه عرض لتلك الأرض أنها احترقت" (ابن رشد، 1994: ص64)

يذهب ابن رشد بأن هذا الرأي صحيحا: "ومن شاهد الزلزلة الحادثة بقرطبة وجهاتها عام ستة وستين وخمسمائة للهجرة وقع له اليقين بذلك لكثرة ما عرض هنالك من الأصوات والدوي. ولم اكن حاضرا حينئذ بقرطبة ولكن وصلت إليها بعد فسمعت أصواتا تتقدم حدوث الزلزلة"_(المرجع السابق، ص 64)

من خلال ما تم عرضه من النصوص يتبين لنا أن ابن رشد يتبع أرسطو في فلسفته ومنطقه ولا يخالفه إلا في بعض المبادئ، إلى حد أن حمل بعضاً منهم كابن سبعين على الحكم عليه باقتفاء أثر أرسطو من غير مخالفة أو تحديد، فيقول في رسالته: "وأما ابن رشد فمفتون بأرسطو ومعظَم له، ويكاد أن يقلده في الحس والمعقولات، ولو سمع الحكيم يقول إن القائم قاعد في زمان واحد لقال هو به واعتقاده، أعظم تأليفه من كلام أرسطو إما يلخصها أو يمشي معها في نفسه، ثم يقول في وصفه قصير الباع قليل المعرفة، بليد التصور ... غير أنه قليل الفضول ومنصف وعالم

بعجزه ولا يعول عليه في اجتهاده لأنه مقلد لأرسطو " من أفلاطون إلى ابن سينا، (صليبا، 1935: ص3)

هذا التعصب والتحامل على ابن رشد، فما كان قصير الباع قليل المعرفة، ولا بليد التصور، كما أن إعجابه بأرسطو لا يمكن أن يصل إلى حد البله والغباء ويطمس معالم الجهود التي بذلها ابن رشد ويمحو أثراً من آثار الجد والابتكار في مذهبه: "إذ إن ذلك الإعجاب والتقدير لم يحولا بين ابن رشد وبين نقده لآراء أستاذه، ومفارقته في كثير من أماكن فلسفته" (بيصار، 1973: ص 55)

أن ابن رشد كان معجبا بأرسطو، وكان يرى أن فلسفة أرسطو هي وحدها التي تستحق هذا الاسم، ولكن هذا الإعجاب لم يكن بسبب ما يقوله أرسطو في هذه المسألة أو تلك، بل لأن فيلسوفنا كان يرى في الفلسفة الأرسطية بناءً متماسكاً يشد بعضه بعضا، الشيء الذي تفقده الفلسفات السابقة له، حتى أنه سار على نفس الطريق وهو طريق العقل، والوصول إلى الحقيقة، غير أنه ـــ أي ابن رشد ــ لم يكون يصدر من المنطلقات نفسها، فلقد كان له منظومته ومرجعيته الخاصة به، ودفاع ابن رشد عن آراء أرسطو لم يكن راجعاً دوماً إلى تأييده في هذه القضية أو تلك، بل إلى رغبته في إبراز كيف أن تلك الآراء لها ما يبررها داخل المنظومة الارسطية نفسها. (الجابري، 1993: ص 240–241) ويحاول الدكتور عاطف العراقي في كتابه (النزعة العقلية) تبرير موقف ابن رشد في متابعته لمذهب أرسطو، وذلك في قوله :) أن كل فيلسوف في الواقع يتأثر بالعديد من الأفكار التي سبقته، بمعنى أن ليس فينا أصيل" (العراقي، 1984: ص87)

وهذا لا يعني أن الفلسفة الإسلامية تكرار لفلسفة اليونان، كما يرى بعض المستشرقين، بل يقصد بذلك أن الفلسفة اليونانية، قضاياها ومحتوياتها، شكلت مادة للتفكير الفلسفي في الإسلام، فكانت جزءاً لا يتجزأ من بنيته، دون إغفال خصوصية الفلسفة الإسلامية، انطلاقا من خصوصية واقعها العربي الإسلامي، كما يقول محمد عابد الجابري في كتابه (نحن والتراث)**:** "نقل أجدادنا الفلسفة اليونانية، كما وصلتهم، إلى اللغة العربية، وحاولوا التوفيق بينها وبين معطيات المجتمع الإسلامي الدينية والفكرية. ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمجرد النقل والتوفيق. لم يكن عملهم ذلك مجرد ترف فكري، ولا كان صادراً عن الرغبة في الاطلاع على ما لدى الغير من معارف وعلوم، بل كانت هناك دوافع عميقة إلى ذلك، دوافع نابعة من واقعهم الاجتماعي

والسياسي والثقافي؛ وبكلمة واحدة: واقعهم الحضاري العام". (الجابري، 1939: ص41)

وكما كان لابن رشد رأى في الفلسفة اليونانية، بمفاهيمها العقلية والمنطقية، تمثلت في القيمً الفلسفية القابلة للاندماج والتفاعل مع التفكير الإسلامي، ومع ذلك، فنظرته للفكر الفلسفي اليوناني باعترافه ببعض فلسفتها متنافية مع المعتقدات الإسلامية. بالرغم من انه استخدم كثيرًا من الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو في بناء الفكر الفلسفي، كما حاول تأويل مفاهيم الفكر اليوناني وتكاملها مع الفلسفة الإسلامية. وباختصار، كان موقف ابن رُشد من الفلسفة اليونانية متناقضة إلى حد ما، حيث استوحى منها، وتأثر بها في نفس الوقت، لكنه قام بتكاملها وتفسيرها بمرجع إسلامي ليتلاءم مع قناعاته الفلسفية الدينية.

ثانياً: شروحات ابن رشد لأعمال أرسطو:

ليس هناك سجل مؤكد أن ابن رشد كتب شرحًا محددًا لأعمال أرسطو، ولكن من المعروف أنه كان من المعجبين بفلسفة أرسطو وتأثر بفكره. لقد قدم تفسيرات ومقالات فلسفية تتبنى مبادئ بعض أرسطو وتطويرها. على سبيل المثال، في كتابه "تهذيب الفلسفة"، قام بتحليل المفاهيم الأرسطية وتطويرها ليتوافق مع الفكر الإسلامي والفلسفي الخاص به. لقد دفع ابن رشد إعجابه بأرسطو إلى أن تناول جميع ما وصل إليه من مؤلفات بالشرح والتحليل والتوضيح.

وقام بترجمة كتاب "الأخلاقيات النيقوماخية" (الأخلاق النيقوماخية) الذي كتبه أرسطو إلى العربية، وقدّر الفلسفة الحيوانية التي وردت في هذا الكتاب. كما قام ابن رشد بتحليل وتفسير أفكار أرسطو في كتابه "المنطق الكبير" (كتاب المنطق العظيم)، حيث استوحى منه نظريته حول المنطق وانتاجه وتوصله. ابن رشد كان يروج للفلسفة أرسطو في مؤلفاته الفلسفية، واستفاد منها في تطوير أفكاره الخاصة. ويقول المؤرخ المغربي عبد الواحد المراكشي الذي عاصر في طفولته فيلسوفنا، وكان على صلة بتلاميذه وبالبلاط الموحدي، يقول قال ابن رشد: " استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي: سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أر سطو أو عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض أغراضه ويقول لو وقع لهذه الكتب

من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهماً جيداً لقرب مآخذها على الناس" (الجابري، 1998: ص18)

فقال له فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل وإني لأرجو أن تفي به لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة. (ابن رشد، 1994: ص7).

ويقول صاحب المعجب حكاية عن أبى بكر يحي القرطبي تلميذ ابن رشد نقلا عن أستاذه " فكان هذا هو الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطوطاليس" (عبد المهيمن، 2000: ص163)

ومن المعروف أن ابن رشد لا يعرف اللغة اليونانية: " ليرجع إلى الأصول فتناول الترجمات وراح يقابل بعضها ببعض، ويقابل أقوال أرسطو في كتاب بأقواله في كتاب آخر حول الموضوع الواحد، ساعيا في أن يتوصل إلى ما يمكن التوصل إليه من حقيقة فكرة المعلم الأول ويضفي أقواله مما دخلها من عناصر أفلوطينية ويقدمها للعالم العربي والعالم الغربي في جليل قيمتها" (الفاخوري، الجر، 1993: ص 389). وهذا الأمر لا يحط من مقامه بل يزيده رفعة في عيون العلماء لأنه يخص فلسفة أرسطو، وشرحها من غير معرفة للغته ولم يقع فيها مع ذلك في خطأ.

والشرح بطبيعته هو نظرية في البيان والإيضاح بطريقة التحليل إلى الأجزاء الأولى قبل التركيب في التلخيص، وإيجاز القصد في الجوامع. الشرح بيان للصواب والخطأ وإصدار للأحكام لأنه تفصيل وتدقيق وتحقيق. ولا فرق في المراجعة بين زمن أرسطو ونص الشراح اليونان أو المسلمين. قد لا يحتاج النص إلى شرح لأنه بين بذاته ومفهوم بنفسه. وإذا احتاج فإن مقياس الوضوح هو الاتساق وعدم الوقوع في التناقض والخلف بين المقدمات والنتائج. والشرح أيضًا وصف لمسار الفكر الأرسطي من اليونان إلى المسلمين على نحو تاريخي، وقد يكون تقييمًا نهائيًّا لقول أرسطو باعتباره بنية عقلية مستقلة .(حنفي، 2022: ص98، 99) أما شروح ابن رشد لأعمال أرسطو ومؤلفاته فيها فقد عني بها المستشرقون أكثر من عنايتهم بغيرها، فقد تم تصنيفها إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول "الشرح الوجيز" ويعرض فيه ابن رشد مضمون الكتاب عرضا تركيبياً مركزاً بأسلوبه هو، لا ينقل عن الأصل شيئا ، ويستهل هذا النوع في العادة بمقدمة ينص فيها على أن غرضه هو تحديد الأقاويل العلمية دون الأقاويل الجدلية وينطبق هذا على الكتب التي سماها ابن رشد

"الجوامع الصغار" خاصة. أما النوع الثاني فهو "الشرح الوسيط" ويسميه ابن رشد باسم "التلخيص" ويتميز بكونه يذكر فيه لدى كل فقرة أو مقطع جملة من النص مسبوقة بقال "أرسطو" ثم يسترسل في الشروح والتعليق" (الجابري، 1998: ص 73) .

وهذه التلاخيص تعبر بحد كبير عن الفكر الحقيقي لابن رشد فهو يناقش فيها ... الأفكار المختلفة للفلاسفة الإسلاميين كالفارابي وابن سينا ويشير أيضا إلى تفاسير الشراح من اليونان من تلاميذ أرسطو كالإسكندر الافردوسي وثامسطيوس وثافرسطس، أي إن صفة التأليف في تلاخيصه تبدو ظاهرة أكثر مما هو الحال في شروحه الكبرى والوسطى إذ إنه يتحلل من نفس أرسطو ويتحدث بنفسه وهو لا يتابع النص الأصلي بل يحمله أو يوسعه بعبارة من عنده وذلك لا يعيننا على بيان حقيقة الترجمة الأصلية فالتلاخيص إذنْ عبارة عن تلخيص المعنى وكتابته على لسان الملخص كذلك نجد فيه بعض الشواهد من عنده. (العراقي، 1993: ص69) أما النوع الثالث فهو الشرح الكبير يسميه ابن رشد الشرح على اللفظ، وهو الشرح الذي يتبع فيه كلام أرسطو جملة ، فيشرح ويعلق ويناقش آراء الشراح السابقين وغيرهم من المشائين والمحسوبين في عدادهم، (بيصار، 1973: ص 56)

وبهذا يكون لابن رشد ثلاثة شروحات لكتب أرسطو وهي: مطول ،ووسيط وموجز أو تلخيص، وهي تدرس في الجامعات الإسلامية على نفس النظام، فالشرح الأصغر يدرس في العام الثاني والشرح الأكبر يدرس في العام الثالث أي على حسب التدرج في الصعوبة، (بيصار، 1973: ص 56)

غير أن ابن رشد في هذه الشروح الثلاثة نلاحظ أنه نهج منهجا يتفق مع فهمه الشخصي لأرسطو غير مقيد فيه بأفهام الشراح السابقين من اليونانيين والإسلاميين. (المرجع السابق، ص 56)، وأصبح يسمى باسم (الشارح الأكبر) فقد كان لشروحه شأن عظيم في ترويج فلسفة العلم الأولى في الأوساط الفلسفية واللاهوتية وخاصة في الغرب إذ هو صاحب الفضل فيما عرفته معاهد الدرس في أوروبا النصرانية من كتابات أرسطو حتى إن شروحه قد انتشرت بين رجال الدين على الرغم من أنهم كانوا يرون في مذهبه خطرا يهدد العقيدة، (العراقي، 1993: ص 70، 71)

جمع ابن رشد كل ما وصل له من ترجمات أرسطو، وترجمات شراحه لعدم معرفته باليونانية وحاول فهم غوامضها والمقارنة بينها لكنه مع كل ذلك لم ينجُ من جميع الأخطاء التي وقع فيها أسلافه، ولم يستطع تنقية فلسفة أرسطو من كل ما داخلها من عناصر غريب. وعذره في ذلك أن الترجمات التي استخدمها وترجمات الشروح التي لجأ إليها كانت مع دقة بعضها، عاجزة عن تأدية جميع المعاني،ولا سيما المعاني الغامضة في الأصل اليوناني (الفاخوري، الجر، 1993: ص 401، 402)

وكما أسلفنا فطريقة ابن رشد في الشرح تختلف عن سابقيه في عرض النص بنص وردها إلى أصحابها، وذلك من خلال تبيان مقاصدها والوقوف على أصولها الأولى، فكان يعرضها ويعلق عليها فقرة فقرة وعبارة عبارة بغية تحقيق أبعاد فلسفية وفكرية تكون أداة فعالة وطريقة حاسمة في تبني الفلسفة الأرسطية.

لذا يعد ابن رشد من الفلاسفة الأوائل الذين حاولوا شرح مؤلفات أرسطو وإبراز قيمتها العلمية وتكييفها مع منطق الشرع الإسلامي الذي لم يكن عائقا أمام حركة التفلسف التي شهدها المجتمع الإسلام ".ومع أنه لم يكن أول شارح عربي لتأليف أرسطو، فإن طريقته في الشرح تمتاز على طريقة الشراح المتقدمين عليه. فبينما نجد ابن سينا في كتاب الشفاء يعرض أفكار أرسطو عرضاً عاماً يمحو شخصية صاحبها، نجد ابن رشد يتناول النص الأرسطي بالتفسير والتعليق مفصلاً له، ويستطرد في بعض الآحايين لإيراد نصوص مستمدة من تأليف أرسطو الأخرى" (صليبا، 1995: 453) وبالإضافة إلى شرحه كتب الفلاسفة، ألف ابن رشد كتبا في الفقه والكلام وفي المنطق والجدل الفلسفي. ولعل أشهر كتبه "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" في علم الكلام، وكتاب "تهافت التهافت" في الجدل الفلسفي الذي يرد فيه على أبي حامد الغزالي المتوفى سنة 1111م. ومن المثير للعجب في مؤلفاته هو أنه كان يجهل لغة اليونان ولغة الإسبان، وليس له إلمام بغير العربية أن يشرح كتب أرسطو التي وضعت بلغة اليونان؟ ، فابن رشد قد تناول كتب أرسطو بعد أن نقلت إلى العربية عن طريق المترجمين في القرن الثالث الهجري قبل ولادة ابن رشد بثلاثة قرون تقريبا، ومع هذا فقد حاول أن يتدارك ما فاته بجهله باللغة، وأن يعوضه عن طريق التحري والدقة، فجمع كل التراجم الموجودة بالعربية وبحثها بروية وإمعان، ثم ناقشها من جميع وجوهها بنزاهة وحكمة، وحذق ودراية، حتى يخيل لقارئها أنه من أشد الناس إتقانا للّغة اليونانية، (بيصار، 1973: ص 56)

ونود هنا أن نشير إلى أن ابن رشد في شروحه لم يكن مجرد مردد أو مقلد لآراء أرسطو فقد كانت له شخصيته الواضحة حيث كان يتجاوز الشرح والتفسير والتعليق ويتطرق إلى بعض القضايا الفلسفية واللاهوتية، وإذا كان قد شرح لأرسطو وتأثر به فإنه استطاع أن يقيم مذهبا له خاصاً به، ويقدم للعالم الإسلامي كما يقول الجابري فرصة الإفلات من الانحطاط الحضاري وذلك بإحرازه قطيعة إبستيمولوجية مع الفلسفة المشرقية، وبخاصة مع ابن سينا، لكن العالم الإسلامي شاء أن يدع هذه الفرصة الذهبية تفلت من بين يديه، لتتلقفها القوى الصاعدة في أوروبا العصور الوسطى وتبني مجدها العلمي الصناعي على تأويلاته، إلا أن الجابري ينظر إلى العلاقة بين الإبستيمولوجي والآيديولوجي في الفلسفة الإسلامية على أنها علاقة عرضية تجريبية، لا علاقة ضرورية أنطولوجية، إذ يرى أن العلاقة بينهما قد تكون وثيقة وعضوية في حال الفكر الأوروبي، لكنه يصر على أنها ليست كذلك في حال الفكر العربي، ففي كتابه "نحن والتراث"، يرجع ذلك إلى كون الفلسفة الأوروبية في نظره قراءات متواصلة لتاريخها وتراثها، في حين أن الفلسفة الإسلامية هي أساسا قراءات متفرقة للآخر، أعني الفلسفة الإغريقية، لذلك نرى أن الجانب الإبستيمولوجي من الفلسفة الإسلامية هو أساس إغريقي وثابت، في حين أن الجانب الأيديولوجي منبعه الإشكالات السياسية والدينية للعالم الإسلامي في العصر الوسيط" (غصيب، 2011: ص30).

الخاتمة:

يمكن القول إن إسهامات ابن رشد لا تقتصر على تقديم شروح موثوقة لأرسطو، بل تتجاوز ذلك إلى إعادة صياغة وتطوير بعض الأفكار المركزية في هذه الفلسفة وأصبح أحد أهم الوسطاء بين التراث الفلسفي اليوناني والتفكير الإسلام، كما ساهم في تطوير بعض الجوانب الأساسية في فلسفة أرسطو، مثل مفهوم العقل الفعال والعلاقة بين الفلسفة والدين. وقد أثرت هذه الإضافات والتفسيرات بشكل كبير على الفكر الفلسفي اللاحق في الغرب والعالم الإسلامي على حد سواء وبفضل شروحه الوافية، أصبحت فلسفة أرسطو حجر الزاوية في التفكير الفلسفي الإسلامي لقرون عديدة، وأثرت بشكل كبير في تطورات الفلسفة في الغرب.

في الختام يمكن القول أن شروح ابن رشد لأعمال أرسطو كان لها أهمية بالغة في إعادة إحياء وتطوير الفلسفة اليونانية خلال العصور الوسطى، وتركه إرثًا فلسفيًا

غنيًا، أثّر بشكل كبير على الفكر الفلسفي الإسلامي، ولا يزال له صداه حتى يومنا هذا. فقد استلهم الفلاسفة والمفكرون المسلمون من بعد أفكاره، وطوروها مما أدى إلى نشوء مدارس فلسفية مختلفة، كما انتقلت أفكاره إلى الغرب، حيث لعبت دورًا هامًا في النهضة الأوروبية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر: وهي كتب ابن رشد

(1) ابن رشد:(1994).رسالة الآثار العلوية، تقديم وضبط، رفيق العجمي، جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1.

(2) ابن رشد:(1994) شرح كتاب السماع الطبيعي لأرسطو، تحقيق:سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة

(3) ابن رشد:(1982) تلخيص منطق أرسطو، تحقيق جيرار جهامي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت.

(4) ابن رشد:(1994) رسالة السماع الطبيعي، تقديم وضبط، رفيق العجم، جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1.

ثانياً: المراجع:

(1) العريبي، محمد، (1992م)، ابن رشد وفلاسفة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت.

(2) صليبا، جميل، (1970ف) تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1،

(3) الجابري، محمد عابد، (1993) ف نحن والتراث(قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي) المركز الثقافي العرب، يبروت،

(4) عبد المهيمن، احمد، (2000) نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن العربي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية،

(5) بيصار، محمد،(1973) فلسفة الوجود والخلود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3.

(6) حنفي، حسن (2022) من النقل الي الإبداع، مؤسسة هنداوي جـ1،

(7) غصيب، هشام،(2011) الجابري، من التراث إلى التحديث، الحوار المتمدن، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية.

(8) الجابري، محمد عابد،(1998) ابن رشد سيرة وفكر، دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.

(9) الفاخوري، حنا، الجر، خليل،(1993) تاريخ الفلسفة العربية جـ 2، دار الجيل، بيروت ط3،

(10) العراقي، عاطف، (1984) النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دارالمعارف، ط4،

(11) الخولي، يمني طريف، (2001) فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، أصيل النشر، دار قباء، القاهرة،

(12) الجابري، محمد عابد،(1993)، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، ط6.

(13) أنطون، فرح،(1981) ابن رشد وفلسفته، تقديم دونيس العكرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت

(14) الشهرستاني، (2001) أبو الفتح عبد الكريم الملل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2.

(15) العراقي، عاطف،(1993) النـزعة العقلية في فلسفة ابن شد، دارالمعارف، مصر، ط 5.

(16) بدوي، عبد الرحمن،(1980) أرسطوطاليس في النفس، الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس، الحاس والمحسوس لابن رشد النبات المنسوب إلى أرسطو طاليس، بيروت، دار القلم.

(17) صليبا، جميل، (1935)، من افلاطون الي ابن سينا، مكتبة النشر العربي، دمشق، ط3.